

دلائل الإعجاز

قوله تعالى : (إِنِّ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصَدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) . إنما جاء - وإِلاَّ أعلمُ - بِإِنَّ وإِلاَّ دونَ إِنْما فلم يَقُلْ : إنما أنتم بشرٌ مثلنا لأنهم جعلوا الرسلَ كأنهم بادسَّ عائم النبوة - قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرًا مثلهم وادسَّ عوا أمرًا لا يجوزُ أن يكونَ لِمن هو بشرٌ . ولما كان الأمرُ كذلك أخرجَ اللفظَ مُخرِجَه حيث يُرادُ إثباتُ أمرٍ يدفعُه المخاطَبُ ويدسَّ عي خلافَه . ثم جاء الجوابُ منَ الرسلِ الذي هو قوله تعالى : (قالتْ لَهُمُ رُسُلُهُمْ إِنِّ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) كذلك بِإِنَّ وإِلاَّ دونَ إِنْما لأنَّ من >كُومَن ادسَّ عى عليه خصمُه الخلافَ في أمرٍ هو لا يخالفُ فيه أن يعيدَ كلامَ الخصمِ على وجهه . ويجيءُ به على هيئته ويحكيه كما هو . فَإِذا قلتَ للرجلِ : أنتَ من شأنِكَ كيتَ وكيتَ . قال : نَعَمَ أنا مِنِ شَأني كَيْتَ وكيتَ ولكن لا صَيْرَ عِلَّيَّ ولا يلزمُنِي من أَجْلِ ذلك ما طَئِنْتِ أَنه يلزمُ . فالرسلُ صلواتُ الله عليهم كأنهم قالوا : إِنْما ما قلتُم من أنَّا بشرٌ مثلُكم كما قلتُم : لسنا ننكِرُ ذلكَ ولا نجهلهُ ولكن ذلكَ لا يمنعُنَا من أن يكونَ إِنْما تعالى قَدَ منَّ علينا وأكرمنا بالرسالة . وأما قوله تعالى : (قُلْ إِنْما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) . فجاء بِإِنْما لأنَّه ابتداءُ كلامٍ قد أمرَ النبيُّ بأنَّ يُبَلِّغَه إياهم ويقولَه معهم وليس هو جوابًا لكلامٍ سابقٍ قد قيلَ فيه : إِنْما إِنْما بشرٌ مثلنا . فيجبُ أن يؤتَى به على وفقِ ذلك الكلامِ ويُراءَى فيه >ذوهُ كما كانَ ذلكَ في الآيةِ الأولى .

وجملةُ الأمرِ أنك متى رأيتَ شيئًا هُوَ منَ المعلومِ الذي لا يُشَكُّ فيه قد جاء بالنسَبِ في ذلكَ لتقديرِ معنَى صار به في >كُومَ المشكوكِ فيه . فَمِنَ ذلكَ قوله تعالى : (وما أنتَ بمُسمعٍ مَنَ في القُبورِ إِنِّ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ) إنما جاء وإِلاَّ أعلمُ بالنفي والإثباتَ لأنه لما قال تعالى : (وما أنتَ بمُسمعٍ مَنَ في القبورِ) . وكان المعنى في ذلكَ أن يقالَ للنبيِّ : إِنْما